

## تقرير

شوقي عشقوتني  
lionbars@hotmail.comنحو نظام عالمي جديد محوره أميركا والصين  
حرب أوكرانيا خلطت أوراق العالم

فوز الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون بولاية رئاسية ثانية. افلات الرئيس الأميركي جو بايدن من الخسارة في الانتخابات النصفية. عودة بنيامين نتنياهو الى رئاسة الحكومة الاسرائيلية. اندلاع حركة احتجاجات في إيران. تجدد النزاع بين أرمينيا وأذربيجان. توقيع اتفاق ترسيم الحدود البحرية بين لبنان وإسرائيل. سياسة التوجه شرقا التي باشرتها السعودية. احداث حفلت بها سنة 2022، لكن الحدث الذي قلب المشهد العالمي رأسا على عقب هو الحرب الروسية على أوكرانيا

الحرب الأوكرانية هي حدث العام 2022 والعنوان الأبرز المهيمن، وسيكون أيضا حدث العام الجديد 2023. هذه الحرب بدلت في اوضاع العالم ومساره وخطته السياسية، وخلطت الأوراق واعادت ترتيب الاجندات والاولويات. العالم بعد هذه الحرب لن يكون بالتأكيد مثلما كان قبلها. حرب أوكرانيا ستعيد صياغة النظام العالمي الجديد وفق اسس ومبادئ جديدة، وسيكون هذا التغيير هو الاول من نوعه وحجمه منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية، او على الاقل منذ انتهاء الحرب الباردة بداية التسعينات مع انهيار الاتحاد السوفياتي.

ثمة احداث وحروب في العالم تكون محطة مفصلية ونقطة تحول حاسمة، وتؤدي الى تغيير جذري في المسار الدولي ومجرى التاريخ. قبل 20 عاما شهدنا مثل هذا النوع من الاحداث عندما تعرضت الولايات المتحدة لهجمات 11 سبتمبر 2001 وتلا ذلك تحول جذري في سياسة الولايات المتحدة الخارجية، لتصبح سياسة هجومية ويحصل غزو عسكري لافغانستان وبعدها للعراق، ويرزح العالم لعقدين تحت ارتدادات هذا الغزو المزدوج ووطأته، قبل ان تتلاشى هذه المرحلة في الامس القريب مع انسحاب أميركا المتدرج من العراق وانسحابها الدراماتيكي من افغانستان. اذا كانت هجمات 11 ايلول والغزو الأميركي لافغانستان والعراق رسما قواعد جديدة لصراع النفوذ ولنظام اممي جديد في العالم لمدة عشرين عاما، فان حرب أوكرانيا والغزو الروسي لأوكرانيا سترسم لسنوات قادمة، قواعد جديدة للصراع الدولي ولحرب باردة جديدة انطلاقا من أوروبا. هذه الحرب تدمر أوكرانيا



الرئيس الروسي فلاديمير بوتين.

وتطيح استقرار أوروبا القلقة والمزعزعة، وترد الروح والاعتبار الى حلف شمال الأطلسي الذي كان في حال موت سريري، ويبعث من جديد. القى الغزو الروسي ببعثاته على مجمل النظام العالمي. اعاد خلط أوراق جيوسياسية. وضع موسكو في وضع "المنبوذ والمعزول" دوليا. وحد الغرب في مواجهة الرئيس الروسي بوتين وايقظ الهواجس الأوروبية النائمة وخلط أوراق العلاقات والتحالفات في الشرق الأوسط. مما لا شك فيه ان أوروبا واجهت هذا العام اسوأ أزمة واخطرها منذ الحرب العالمية الثانية. الحرب الروسية على أوكرانيا ضربت في العمق الامني الأوروبي، ودفعت دول الاتحاد الى إعادة ترتيب اوضاعها وتعزيز قدراتها العسكرية. كما ضربت الاستقرار الاقتصادي بعدما تبين ان العقوبات الأوروبية المفروضة على روسيا "سلاح ذو حدين"، في

وقت بدأ الاستقرار الاجتماعي مهددا مع اكبر موجة لجوء في أوروبا وداخلها. أوروبا تواجه تحديات كثيرة، وتجتاز مرحلة خطيرة في مسيرتها التاريخية المليئة بالدماء والدموع. وبازاء حرب داهمتها وايقظت الهواجس التاريخية، تعيش أوروبا حال قلق وخوف وسط اجواء انقسام وارتباك.

## الولايات المتحدة اضطرت الى تغيير استراتيجيتها في الشرق الأوسط

والتجارية الى ان تصبح قوة صلبة من الناحية الجيوسياسية. لكن من الواضح ان الدول الأوروبية الكبرى تفتقر الى صياغة موقف سياسي وعسكري موحد حيال الازمة الأوكرانية، وحيث كشفت أزمة أوكرانيا حجم التباين في المواقف بين الدول بازاء العلاقة مع روسيا. وهناك من يحرص على الحفاظ على التعاون مع روسيا بسبب المصالح الحيوية معها، وهناك تباين في الخيارات الاستراتيجية الأوروبية، وهذا التباين يمتد من رؤية كل دولة لشكل الاتحاد الأوروبي ودوره، الى مقاربة القضايا الدولية وادارتها. لذلك، فان الحديث عن عسكرة الاتحاد الأوروبي او بناء جيش أوروبي موحد او تزايد نفوذ أوروبا من خلال القوة العسكرية امر ما زال بعيدا عن الواقع. فالحرب في أوكرانيا جعلت اهتمام أوروبا بزيادة قدراتها العسكرية حقيقة، الا ان قدرتها على منافسة القوى العسكرية الثلاث الاولى في العالم اي الولايات المتحدة والصين وروسيا ما زالت بعيدة، وستحتاج الى تغيير عميق في الثقافة السياسية والمجتمعية لكي يتقبل الأوروبيون فكرة الانتقال من الاعتماد على تأثير نموذج اقتصادي وثقافي وسياسي الى قطب يعتمد على قوته العسكرية، وهو امر غير مؤكد وغير وارد في المستقبل المنظور او المتوسط.

ومع ان الحرب ستنتهي، لكن لا يمكن معرفة متى ولا كيف سيبدو ذلك، لكن أوروبا لن تكون كما هي بعد الان. لا شك ان الحرب الأوكرانية، وازمة الطاقة والغذاء في العالم، وتعثرت المفاوضات النووية مع إيران، والتوجس من التوغل الصيني والروسي في المنطقة، عوامل دفعت واشطن الى تغيير سياستها تجاه المنطقة ومحاولة ترميم علاقاتها مع حلفائها الاستراتيجيين التقليديين، حيث تشهد المنطقة حراكا اقليميا اوسع، نراه، اضافة الى محتواه الامني والدفاعي الشديد الاهمية في هذه المرحلة، يرتكز على عاملين حيويين لمستقبل المنطقة، هما السلام والاقتصاد. هذه التشكيلات الجديدة والاتلافات التي يتم انشاؤها تشير الى ان خارطة الشرق الأوسط الجيوسياسية آخذة في التغيير، ومن



الحرب في أوكرانيا بالواسطة.



الرئيس الأميركي جو بايدن.



تدعو اليه بعض الدول داخل الاتحاد الاوروبي، التي باتت من الواضح انها لا بد ان تبقى تحت المظلة الاطلسية بعدما عززت الحرب في اوكرانيا الدور المحوري للحلف. التحول الذي بدأ يظهر على مستوى الخريطة العالمية له علاقة بالتحديات السياسية والسعي لرسم حقبة جديدة. ففي العام 1991 انتهت حقبة الحرب الباردة التي بدأت مع انتهاء الحرب العالمية الثانية. وثمة بوادر واضحة تؤشر الى احتمال بدء مرحلة جديدة على انقراض مرحلة الحرب الباردة انطلاقاً من حرب اوكرانيا. هذه المرحلة او الحقبة الجديدة، تتضح معالمها وتتلور في العام 2023.

العواصم الغربية تراقب بكثير من التفصيل، ليس فقط الحركة الروسية بكل مقوماتها ودراسة سلوك بوتين، بل ايضا وخصوصا سلوك القيادة الصينية وطريقة تفاعلها. هذه الصورة الملبدة على المستوى الدولي كان لها تأثيرها على الساحة الشرق اوسطية.

صحيح ان المتعارف عليه تاريخيا ان الشرق الاوسط هو ساحة نفوذ اميركية، الا ان ثمة تبدلات حصلت، خصوصا على مستوى العلاقة الاميركية - الخليجية. بالتأكيد لا يزال النفوذ الاميركي هو الطاغي في منطقة منابع النفط، لكن المياه لم تعد صافية كما في السابق. وهو ما يظهر من خلال الحرص السعودي على تنويع العلاقة الدولية مع خصوم الولايات المتحدة الاميركية، والمقصود هنا الصين وروسيا.

لا شك ان من المبكر جدا الحديث عن نفوذ روسي او صيني في شبه الجزيرة العربية، ذلك ان واشنطن لا تزال تمسك جيدا بالبنية التحتية العسكرية والامن والاقصادية في هذه المنطقة الحساسة من العالم، والاسطول الاميركي هو الذي يؤمن الممرات البحرية لتدفق النفط الى الاسواق العالمية، لكن مجرد فتح الابواب امام مجالات التعاون، والتي تصل في بعض الاحيان الى مجال التسليح، فهذا يعني كثيرا ويؤشر الى ان العالم بدأ يدفن حقبة الاحادية الاميركية ويستعد لترتيب حقبة عالمية جديدة، لكن لهذه الحقبة قواعدها واغماظها.



الاتحاد الاوروبي المدعور.

## اوروبا واجهت اسوأ واخطر ازمة منذ الحرب العالمية الثانية

الجنوبي - خاصة في الشرق الاوسط وشمال افريقيا والساحل - التي تواجه ازمات امنية وديموغرافية واقتصادية وسياسية مترابطة تتفاقم من جراء تغير المناخ والجوائح الصحية وانعدام الامن الغذائي، مما يشكل ارضا خصبة لتنامي الجماعات الارهابية ويسهل تغلغل المنافسين الاستراتيجيين للحلف في هذه المناطق.

كما انه، وللمرة الاولى ايضا، يشير المبدأ الاستراتيجي الى ان الحلف هو المنظمة الوحيدة، والاساسية، والتي لا غنى عنها لتنسيق السياسات الدفاعية بين الدول الاعضاء. وهو ما يمكن تفسيره بأنه اشارة الى المسارات الاخرى للاندماج العسكري، كالذي

الحلف والموارد التي تمكنه من التصدي لتحديات المستقبل، ويهدف الى التكيف مع التغيير العميق الذي طرأ على المشهد الجيوسياسي الدولي بعد دخول الجيش الروسي الى اوكرانيا. من العناوين الرئيسية لهذه الاستراتيجية تحديده روسيا مصدرا للتهديد المباشر الاكثر خطورة على امن الدول الاعضاء والامن والاستقرار في المنطقة الاوروبية الاطلسية، منها من ان روسيا تعرقل حرية الملاحة في شمال المحيط الاطلسي. وتسعى كذلك الى توسيع دائرة نفوذها العسكري في البلطيق والبحر الاسود والمتوسط، مما يشكل خطرا مباشرا على المصالح الاطلسية.

وللمرة الاولى، يخصص المبدأ الاستراتيجي الجديد عبارات قاسية تجاه الصين التي يتهمها باستخدام مروحة واسعة من الادوات السياسية والاقتصادية والعسكرية، لزيادة قوتها ونفوذها، معتبرا ان الانشطة الهجينة والسيبرانية الخبيثة التي تقوم بها بكين تلحق الضرر بأمن الدول الحليفة، وتقوض النظام العالمي القائم على القواعد. لكن مع ذلك، اعرب الحلف عن استعدادة للتعاون بشكل بناء للتوصل الى تفاهم مع بكين. وللمرة الاولى ايضا، يشير الى بلدان الجوار



الصين في الخليج العربي.

اهدافها، وما اذا كان ذلك مرتبطا بخلل وقصور في الجيش الروسي، ام بخطأ تقدير وحسابات في شأن الجيش الاوكراني وقدراته القتالية، وفي شأن حجم الدعم الاميركي بالمال والسلاح لاوكرانيا. ومن المهم ايضا البحث في سيناريوهات النهايات للحرب التي لا يمكن لروسيا ان تربحها عسكريا ولا يمكن ان تخسرهما سياسيا. لكن من الاهمية بمكان، البحث في تداعيات الحرب وارتداداتها على العلاقات والتحالفات والمحاور الدولية، وعلى النظام العالمي ومكوناته ومتغيراته التي ستبدأ في الظهور تباعا في خلال عام 2023.

بعد الحرب الروسية على اوكرانيا، شهد حلف شمال الاطلسي (الناتو) تحولات كبرى، لاسيما مع اعلان وثيقته الجديدة للمفهوم الاستراتيجي للحلف في قمته التي انعقدت في العاصمة الاسبانية (مدريد) منتصف العام. عاد الناتو بعد غزو اوكرانيا بقوة الى الساحة، واضعا خارطة طريق تحدد اطار أنشطة الحلف والخطوط التوجيهية لعملياته في مواجهة التحديات التي تواجه الدول الاعضاء والتهديدات التي يحتمل ان تتعرض لها خلال السنوات العشر المقبلة، بعد ان تبنى بالاجماع المبدأ الاستراتيجي الجديد الذي يضمن جهوز

الاهداف الفعلية التي سعت واشنطن الى تحقيقها من خلال الحرب بالوكالة الدائرة في اوكرانيا، اطالة امد الحرب وتوظيفها لاستنزاف روسيا واغراقها في الوحل الاوكراني، والسعي الى الحاق هزيمة بها، آملا في ان يفضي ذلك الى اسقاط بوتين ونظامه، بعدما فرض على الادارة الاميركية تعديل جدول اعمالها، واحلال روسيا في مكان الصين كاولوية، بسبب قرار بوتين التصدي المباشر لاستراتيجية الاحتواء والحصار المعتمدة حيال بلاده منذ عقود.

لم تعد الحرب الروسية على اوكرانيا تقاس بمساراتها على الارض ونهاياتها التي ستكون عاجلا ام اجلا على طاولة المفاوضات، وانما تجاوزت اوكرانيا لتؤثر في مجمل النظام العالمي الذي سيخرج نهائيا من احادية الزعامة الاميركية الى عالم متعدد القطب، واولها القطب الصيني الذي تغلغل في افريقيا واقتحم الشرق الاوسط من الباب الخليجي السعودي. ومما لا شك فيه، ان الصين تحظى بالاولوية القصوى في جدول الاعمال الدبلوماسي الاميركي. من المهم البحث في اسباب التعثر الروسي في اوكرانيا واخفاق الحملة العسكرية في تحقيق

الواضح ان عوامل اقتصادية وجيوسياسية ادت الى هذا التحول. فمن حرب روسيا في اوكرانيا، الى اسعار النفط، الى توغل الصين في الخليج، وواقع الاقتصاد العالمي بعد وباء كورونا، اضطرت واشنطن الى الانعطاف ووضعت جانبا شعارات الديمقراطية وحقوق الانسان.

على امتداد عقدين من الزمن، وتحديدًا منذ هجمات 11 سبتمبر 2001، تحولت اميركا في اتجاه الشرق الواسع الكبير، من افغانستان الى العراق، ووضعت استراتيجية عامة من ابرز بنودها، اعتماد القيادة من الخلف، عوضا عن القيادة المباشرة والحضور العسكري الكثيف، والابتعاد من سياسة تشكيل مجتمعات حلفائها من الداخل، وتخفيض الالتزام العسكري المباشر في المنطقة، وتخفيض الصراع العالي الوتيرة بما لا يدفع واشنطن الى الغرق في المنطقة وتحمل تبعاته.

هذه الاستراتيجية جمعتها وعدلتها حرب اوكرانيا التي باتت الاولوية المطلقة ومصدر الخطر الداهم، التي وجدت فيها واشنطن الفرصة السانحة لكسر روسيا واضعافها. منذ بداية ازمة اوكرانيا، هدفت ادارة الرئيس جو بايدن لعدم جعلها ازمة روسية - اميركية، ووضعها في اطار ازمة تتعلق بسيادة اوكرانيا وانتهكات روسيا للقانون الدولي. وسعت الى رسم خطوط حمراء، معلنة ان القوات الاميركية لن تتدخل في القتال ضد القوات الروسية في اوكرانيا، لأن من شأن ذلك ان يؤدي الى اندلاع حرب عالمية ثالثة، وأكدت انها ستتدخل عسكريا فقط للدفاع عن كل شبر من اراضي دول حلف الناتو اذا تعرضت اي منها لاي اعتداء. وتبنت سياسة مبدئية ثلاثية البعد، اولها تمثل في فرض عقوبات ضخمة على روسيا، وثانيها تمثل في ارسال الاف الجنود الاميركيين للانتشار في دول حلف الناتو القريبة من اوكرانيا، وثالثها تقديم مساعدات عسكرية ومالية سخية الى الجانب الاوكراني. في الواقع، لم تعد الولايات المتحدة تخفي مدى انخراطها في الحرب الدائرة في اوكرانيا، التي باتت تشكل خط الدفاع الاول عن العالم الغربي في مواجهة روسيا.